جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

المادة: التعبير القرآني
المرحلة: دكتوراه/ لغة
أستاذ المادة: أ.د. محمد ياس خضر

أثر السياق في التعبير القرآني

اولا : تعريف السياق لغة واصطلاحا

السياق لغة :

من سوق ، مصدر ساقه، واصله سِواق فقلبت الواو ياء لكسرة السين ، فالسين والواو والقاف اصل واحد ، وهو حدو الشيء ، يقال ساقه يسوقه سوقا ، وسقت الى امرأتي الصداق وأسقته ، وتساوقت الابل تساوقا اذا تابعت ، والمساوقة : المتابعة كان بعضها يسوق بعضا ، وساق الحديث : إذا رواه على سياقه ، وسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه .

يتضح ان معنى السياق يدور حول الاتصال والمتابعة .

السياق اصطلاحا :

مصطاح السياق من المصطلحات العصية على التحديد الدقيق بشكل متفق عليه بين المشتغلين بالعلوم الشرعية واللغوية من علمائنا المتقدمين والمتأخرين ، مع انهم سبقوا علماء اللسانيات الحديثة من الغربيين ـ اصحاب النظرية السياقية في اللغة ـ في تحديد مفهومه والافادة منه في تحديد دلالات النصوص ومقاصدها ، وبيان اهميته بشقيه المقالي والمقامي مما يدل على وعيهم التام به ، لذلك وجدناهم يذكرونه في مصنفاتهم الاصولية والحديثية والقرآنية واللغوية ، ويعملون به ويلحظونه في أثناء تفسيرهم لنصوص القران الكريم والسنة المشرفة ، واستنباطهم للأحكام التي تضمنها .

وقد كان الامام الشافعي ـ رحمه الله ـ اول من فطن لأهمية السياق في فهم وإدراك معاني النصوص ، حيث قال في رسالته الاصولية : ((إنَّما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها ، على ما تعرف من معانيها ، وكان مما تعرف من معانيها :

اتساع لسانها ، أنَّ فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر ، ويستغنى بأول هذا عن اخره . وعاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص ، فيستدل عن هذا ببعض ما خوطب به فيه . عاما ظاهرا يراد به الخاص .وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره . فكل هذا موجود علمه في اول الكلام او وسطه او اخره . وتبدئ الشيء من كلامها يبين اول لفظها فيه عن اخره . وتبدئ الشيء يبين اخر لفظها منه عن اوله . وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى دون الايضاح باللفظ ، كما تعرف بالإشارة ، ثم يكون هذا عندها من اعلى كلامها ، لانفراد اهل علمها به ، دون اهل جهالتها . وتسمى الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة ، وتسمي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة))[1]

فقد ورد في عبارة الامام الشافعي ما يأتي :

ـ يستغنى بأول هذا عن اخره.

ـ يستدل عن هذا ببعض ما خوطب به فيه.

ـ يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره.

ـ كل هذا موجود علمه في اول الكلام او وسطه او اخره.

ـ يبين اول لفظها فيه عن اخره.

ـ يبين اخر لفظها منه عن اوله.

كل هذا وهو في صدد بيان خطاب العرب

والذي يفهم منه انه اراد بهذه العبارات التنويه بدور السياق ، فهو وإن نوّع العبارة الا ان المؤدى شيء واحد ، وقد صرح مرة واحدة بلفظ (السياق) وقال في العبارة اللاحقة :((كل هذا موجود علمه في اول الكلام او وسطه او اخره)) على أنه اشار سابقا الى انه قد يبين اخر اللفظ عن اوله وقد يبين اول اللفظ عن اخره فيمكن ان يستخلص من ذلك ان السياق : ما دل على المراد بالشيء ووجد علمه في اول الكلام او وسطه او اخره ، او ما ابان اول لفظه عن اخره او اخر لفظه عن اوله ، وهذا هو السياق المقالي اللفظي الذي يستدعي السباق واللحاق. غير أنه قال بعد هذا مباشرة : ((وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى دون الايضاح باللفظ ، كما تعرف بالإشارة)) فيفهم منه الاعتماد على ما يسمى بالسياق المقالي ، وذلك لما يأتي :

١ـ ان ذلك تتكلم به العرب ، اي يوجد الكلام بجزء منه.

---

١ الرسالة للشافعي ت رفعت فوزي (ص: ٢٢)

٢ـ إن التوصل الى المراد يكون من معنى الكلام دون لفظه ، وذلك قوله : ((وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى دون الايضاح باللفظ)) وهذا هو السياق المقامي

٣ـ شبه ذلك بالإشارة ، والاشارة دائما تكون الى الامور الواقعة في الخارج وذلك قوله ((كما تعرف بالإشارة)) وهذا يسمى عند الأصوليين بدلالة الإشارة وهي دلالة لغوية لفظية لكنها سيق إليها النص بالتبعية

٤ـ إن اللفظ يكون تابعا للمعنى دون العكس وذلك قوله : ((تعرفه بالمعنى))

ولو تأملنا في هذه المعاني لوجدنا أنها لا تتوافر الا في الكلام الذي يعتمد على المقام لان المقام وحده يمكن التوصل به الى معرفة معنى الكلام المنطوق به دون ان يكون هو لفظا ، فينطبق عليه قوله : ((تعرفه بالمعنى دون الايضاح باللفظ)) ولان دلالة المقام تشبه دلالة الاشارة فهو يفيد إفادتها فينطبق عليه قوله : ((كما تعرف بالإشارة))

ثم عقد الامام الشافعي له بابا في موضع اخر من رسالته فقال : ((باب الصنف الذي يبين سياقه معناه))[٢] فقال : ((قال الله تبارك وتعالى :﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ الأعراف: ١٦٣

فابتدأ جل ثناؤه ذكر الامر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر فلما * (إذ يعدون في السبت) * الآية

دل على أنه إنما أراد أهل القرية لان القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون (٢١٠) وقال * ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾ الأنبياء: ١١ ... وهذه الآية في مثل معنى الآية قبلها فذكر قصم القرية فلما ذكر أنها ظالمة بان للسامع أن الظالم إنما هم أهلها ، دون منازلها التي لا تظلم ولما ذكر القوم المنشئين بعدها وذكر إحساسهم الباس عند القصم أحاط العلم انه إنما أحس البأس من يعرف الباس من الآدميين))[٣]

---

[٢] الرسالة للشافعي ت رفعت فوزي (ص: ٢٧)

[٣] الرسالة للشافعي ت رفعت فوزي (ص: ٢٨)

كما استعمل الطبري ـ رحمه الله ـ السياق في مواطن كثيرة جدا من تفسيره (جامع البيان) في بيان معاني كثير من آي القران الكريم ، واعتمده في الترجيح بين الاقوال الواردة في تفسير بعض الآيات الكريمة ، بل نص صراحة على أنه لا يجوز صرف الكلام عن سياقه الوارد فيه الا بحجة يجب التسليم لها.

فقال في ذلك : ((فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه الى غيره ، الا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهرة التنزيل ، او خبر عن الرسول تقوم به حجة ، فأما الدعوى ، فلا تتعذر على احد))[٤]

وقد عرف السياق العلماء القدماء والمحدثون :

فعرفه ابن دقيق العيد : أما السياق والقرائن ، فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه ، فقد أعاد السياق الى مراد المتكلم وغرضه المقصود من كلامه.

وعرفه الإمام السرخسي ـ رحمه الله ـ بقوله : القرينة التي تقترن باللفظ من المتكلم ، وتكون فرقا بين النص والظاهر هي السياق ، بمعنى الغرض الذي سيق لأجله الكلام.

وعرفه المحدثون السياق هو : مجموع ما يحيط بالنص من عناصر مقالية ومقامية توضح المراد وتبين المقصود ، او هو ربط الآية بالآيات قبلها وبعدها.

السباق واللحاق

اولا : تعريف السباق لغة واصطلاحا

قال العلامة ابن فارس ـ رحمه الله ـ ((السين والباء والقاف أصل واحد صحيح يدل على التقديم. يقال سَبَقَ يَسْبِق سَبْقاً))[٥]

والسباق : سباقا الجارح من الطير : قيداه من سيور ونحوها ، وسبقه ويسبقه : تقدمه ، وله سابقة في هذا الامر اي سبق الناس اليه والسباق ما قبل الشيء.

اصطلاحا :

عرفه العطار ـ رحمه الله ـ في حاشيته بقوله : وأما قرينة السباق بالباء الموحدة فهي دلالة التركيب على معنى يسبق الى الفهم منه مع احتمال ارادة غيره .

وعرفه الدكتور ياسر عتيق بقوله : سباق الخطاب او النص المراد تفسيره او تأويله ، او هو : مجموع القرائن المقالية والمقامية الواقعة في اول الخطاب او النص المراد تفسيره او تأويله.

---

[٤] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٩/ ٣٨٩)
[٥] معجم مقاييس اللغة ط دار الفكر (٣/ ١٢٩)

ثانيا : تعريف اللحاق لغة واصطلاحا

اللحاق لغة :

اللام والحاء والقاف أصلٌ يدلُّ على إدراكِ شيءٍ وبُلوغه إلى غيره. يقال: لَحِقَ فلانٌ فلاناً فهو لاحق))[٦] ، ويقولون : لحقته :اتبعته والحقته : وصلت اليه ، والحقه به : اي اوصله اياه ، ولاحقته : اذا تابعته وتلاحقت الاخبار :تتابعت

اصطلاحا

فقد عرفه الدكتور ياسر عتيق بقوله : اللحاق هو : لاحق الخطاب او النص المراد تفسيره او تأويله ، او هو : مجموعة القرائن المقالية والمقامية اللاحقة باخر الخطاب او النص المراد تفسيره او تأويله .

علاقة السباق واللحاق بالدلالة السياقية

من خلال ما تقدم من تعريفات للمدلول اللغوي والاصطلاحي لكل من السباق واللحاق والسياق ودلالته ، يمكننا أن ندرك العلاقة بين تلك العناصر ، فدلالة السياق اعم من السباق واللحاق ، إذ أنهما مجموعة القرائن المقالية والمقامية او الحالية الواقعة في سابق الكلام المراد تفسيره او تأويله ولاحقه التي تسهم في فهم النص واستيعاب مضمونه ، بحيث يتضح ما سيق الكلام لأجله ، وذلك بملاحظه البيئة التي ورد فيها النص المراد بيانه ، أي مراعاة البعدين الزماني والمكاني الذين ورد او قيل فيهما النص .

كما أن دلالة السياق تشمل مقاصد الشريعة وعللها وحكمها ، او قصد الشارع الذي يدل عليه النص بنوع من انواع الدلالة ويستفاد منه بتأويله او بيانه . واحيانا يراد بها سبب النزول او الورود او مناسبتهما ، ومكونات الواقع الذي ورد الخطاب فيه ، واحوال المخاطبين فهي اعم منهما واشمل لهما.

وظائف السياق

١ـ صرف الامر عن الدلالة الاصلية ومن أمثلة قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾ البقرة: ٢٨٢

فقد ذهب بعض المفسرين كالطبري إلى أن هذا الامر يدل على وجوب كتابة الدين بيعا كان أو قرضا لئلا يقع نسيان أو جحود . لكن الجمهور يرون أن الامر في الآية محمول على الندب حفظا للأموال وازالة للريب والدليل على ذلك قرينة مقالية

---

[٦] معجم مقاييس اللغة ط دار الفكر (٥/ ٢٣٨)

وردت في سياق لاحق بعد آية الدين هي قوله تعالى :﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ ﴾ البقرة: ٢٨٣

٢ـ تغير دلالة العام بالتخصيص ومن أمثلة التخصيص بالسياق قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ آل عمران: ١٧٣

فلفظ (الناس) في هذه الآية عام في صيغته ، لكن معناه خاص . وقد دل على ذلك السياق بنوعيه المقالي والمقامي ، أما السياق المقالي فظاهر من جهة أن الناس المُخبرين او القائلين المذكورين في قوله تعالى : (قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ) هم غير الناس المخبر عنهم او الجامعين المذكورين في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ ﴾ آل عمران: ١٧٣

وأما السياق المقامي ، فهو أن من كان مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) ناس غير الناس الجامعين ، فدلالة الحال تفتضي بأن هناك ناسا اخرين في بلدانهم لا صلة لهم بالحادث.

امثلة عن السباق واللحاق

كلمة (بدو) تأتي بمعنى الظهور ومعنى سكان البادية وذلك في قوله تعالى :﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾ يوسف: ١٠٠ فعرفت ان معنى كلمة (البدو) هنا سكان البادية من قرينة السباق (جاء بكم)

اما في قوله تعالى : ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ﴾ الأنعام: ٢٨ فالمراد من كلمة (بدا) معنى الظهور الذي هو ضد الخفاء بقرينة التضاد الواردة في اللحاق وهي (يخفون)